مجلة العميد
Journal Homepage: https://alameed.alameedcenter.iq/
ISSN: 2227-0345 (Print) ISSN 2311-9152 (Online)

# حقيقة الطاعة عند أهل البيت عليهم السلام قراءةٌ في التأسيس والممارسة

هادي شندوخ حميد [1]

[1] جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم اللغة العربية، العراق؛ drhadish@yahoo.com
دكتوراه في اللغة العربية / أستاذ

**تاريخ الاستلام:**
١/ ١٠/ ٢٠٢٥
**تاريخ القبول:**
١٦/ ١١/ ٢٠٢٥
**تاريخ النشر:**
٣١/ ١٢/ ٢٠٢٥

**الكلمات المفتاحية:**
الطاعة، الثقافة، العلاقات، التمثلات

**السنة(١٤)-المجلد (١٤)**
**العدد (٥٦)**
**جمادى الآخرة ١٤٤٧هـ**
**كانون الأول ٢٠٢٥ م .**

DOI:
10.55568/amd.v14i56.45-65

CC BY NC

**ملخص البحث:**

يمثل مفهوم الطاعة إشكالا جدليا عند الدارسين، تفسيرًا وتاسيسًا وإجراءً، كما ترى بعض المذاهب الدينية والسياسية والفكرية، حتى تشكلت مسارات وعي مختلفة بالنظر إلى دلالاتها ومقاصدها، وبلا شك أنَّ المرجعية القرآنيَّة في منظور أهل البيت عليهم السلام كانت المثال الحقيقي والواقعي لتفسير المفهوم في انفتاحاته المختلفة .

من هنا كان الشروع في بناء تصورات المفهوم وآليات تسويقه في منظور أهل البيت عليهم السلام هو عملية تحول كبرى في إطار المناخ السائد بما يخلق مثالًا لفلسفة وظيفية لها ديمومتها في صناعة الحياة الآمنة لمجتمع مستقر.

في خطة انتظمت من تمهيد تحدثنا فيه عن المفاهيم المؤسسة للطاعة، تلا ذلك المبحث الأوَّل بعنوان : الانتاج الثقافي لأنظمة قيم الطاعة، وجاء المبحث الثاني موسوما بـ : أنماط الطاعة وبنية العلاقات، امَّا المبحث الثالث فقد جاء منصبا للحديث عن : البنى الكامنة في الطاعة وتمثلاتها، يعقب ذلك خاتمة البحث ونتائجه وقائمة بمصادر البحث ومراجعه.

# Reality of Obedience for Ahlul-Bayt (peace be upon them): Study on Foundation and Practice

Hadi Shindoukh Hamid [1]

[1] University of Karbala / College of Education for Humanities / Department of Arabic, Iraq;
drhadish@yahoo.com
Ph.D. in Arabic Language/ Professor

**Received:**
1/10/2025
**Accepted:**
16/11/2025
**Published:**
31/12/2025

**Keywords:**
Obedience,
Culture, Relations,
Representations

**Abstract:**

Concept of obedience represents a contentious problematic among scholars — in terms of interpretation, theoretical grounding, and practical application — as various intellectual, political and religious schools of thought have recognized, to the extent that divergent trajectories of consciousness are formed with respect to its significations and objectives. There is no doubt that Quranic frame of reference as understood in the perspective of Ahlalbayt (peace be upon them) constituted the true and concrete model for interpreting this concept across its various openings and dimensions.

Based on that undertaking of constructing conceptual frameworks of obedience and mechanisms of its articulation, from the perspective of Ahlalbayt (peace be upon them), represents a major transformative process in prevailing intellectual climate that produces an exemplary model of a functional philosophy possessing enduring continuity in the fashioning of a secure life for a stable society.

The present study is structured according to a plan comprising a preamble in which foundational concepts of obedience are addressed, followed by Section One : Cultural Production of Value Systems of Obedience; Section Two: Patterns of Obedience and Structure of Relations; and Section : Latent Structures of Obedience and Their Representations. These are succeeded by concluding remarks, research findings, and a bibliography of sources and references.

**Al-Ameed Journal**

Year(**14**)-Volume(**14**)
Issue (**56**)

Jumada al-Akhirah 1447 AH.
December 2025 AD

DOI:
10.55568/amd.v14i56.45-65

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الْحَمْدُ لله عَلى ما أَنْعَمَ، وَلَهُ الشُّكْرُ على ما أَلْهَمَ، وَالثَّناءُ بِما قَدَّمَ، مِنْ عُمومِ نِعَمٍ ابْتَدَأها، وَسُبُوغِ آلاءٍ أَسْداها، وَتَمامِ مِنَنٍ والاها، جَمَّ عَنِ الإِحْصاءِ عدَدُها، وَنأى عَنِ الْجَزاءِ أَمَدُها، وَتَفاوَتَ عَنِ الإِدْراكِ أَبَدُها، وصلَّى الله على أشرف خلقه محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وبعد.

ما زال مفهوم الطاعة برمّته يُشكِّل مأزقًا عند الدارسين، لانفتاح المفهوم على جدلية تضاعفت سريعًا في شعاب الايديولوجيات المختلفة في فهمه والتنظير له، ممَّا شكَّل تحديًا كبيرًا في القراءات المختلفة تفسيرًا وتأسيسا وإجراءً، نتيجة الارتكاز الفقهي في وجوب طاعة السلطة لاقتضاءات المصلحة العامة كما ترى بعض المذاهب الدينية، أو التداخل في تحديد مجالاتها أو في مساحات الاختلاف في المُطاع، فالطاعة قد تكون (للآلهة، بتنوع اشكالها، أو السلطة، أو المؤسسة، أو المعرفة، أو النظام الابوي، أو النفس ونوازعها وغيرها)، حتى تشكلت مسارات وعي مختلفة بالنظر إلى دلالاتها ومقاصدها، وبلا شك أنَّ المرجعية القرآنيَّة في منظور أهل البيت ﷺ كانت المثال الحقيقي والواقعي لتفسير المفهوم في انفتاحاته المختلفة .

وفي الحقيقة إنَّ رؤى وطروحات أهل البيت ﷺ كانت مؤسسة لواقع مجتمعي يشي بتنامي حركة تكاملية للأفراد والمجتمعات في نسق بناء المجتمع النموذجي الكامل، في ظل انعدام العمق الكامن في التجارب الاجتماعية الأخرى المختزلة في حركات هي محضُ سياقات لا تقود إلى خلق النموذج الاجتماعي الحقيقي.

من هنا كان النزوع إلى بناء تصورات المفهوم وآليات تسويقه في منظور أهل البيت ﷺ هو عملية تحول كبرى في إطار المناخ السائد بما يخلق مثالًا لفلسفة وظيفية لها ديمومتها في صناعة الحياة الآمنة لمجتمع مستقر، وإن كان هناك نوعٌ من الصراع بين السلطات الدينية المزيفة والنماذج الحقيقية في صيرورة خلق الاتجاهات المثلى.

ومن ثمَّ فأنَّ التصنيف الذي سيقدمه البحث هو الكشف عن تقنيات ثقافة الطاعة تأسيسا وممارسةً بوصفها حقلا ديناميكي لا يمثل كتلةً جامدة في حركة الزمن؛ بل تحول زمني دائم، وإنْ تنوعت الأشكال والآليات يبقى النمط المحرك لتلك الثقافة هو بوصلة

الاتجاه والنوع والأسلوب، وهو ما سيسفر عنه البحث في أقوال أهل البيت ﷺ ومنظومتهم الفكرية والاجتماعية في تقنين تلك الثقافة المستدامة باتجاه المطلق سبحانه وتعالى وباتجاه أولي الأمر" أهل البيت ﷺ بوصفهم القادة الحقيقيين الممتدين في مساحة الزمن، بلحاظ قول النبي ﷺ: (إني تارك فيكم أمرين إن أخذتم بهما لن تضلوا: كتاب الله عز وجل وأهل بيتي عترتي)[١]، وممن انتدبوا لقيادة الامة من ممثليها الشرعيين في مسار عقدي لايقبل التأويل أو الاجتهاد، وكذلك مسار الطاعة بين الزوجين. وهذا قد تشكل في خطة انتظمت من تمهيد تحدثنا فيه عن المفاهيم المؤسسة للطاعة، تلا ذلك المبحث الأوَّل بعنوان : الانتاج الثقافي لأنظمة قيم الطاعة، وجاء المبحث الثاني موسوما بـ : أنماط الطاعة وبنية العلاقات، امَّا المبحث الثالث فقد جاء منصبا للحديث عن : البنى الكامنة في الطاعة وتمثلاتها، يعقب ذلك خاتمة البحث ونتائجه وقائمة بمصادر البحث ومراجعه.

**مهاد نظري : المفاهيم المؤسسة للطاعة:**

تمحور المفهوم حول معاني الانقياد والموافقة والامتثال عند اغلب اللغويين، باختلاف الجهة المؤدى لها فعل الطاعة، قال الجوهري : " فلان طوع يديك اي منقاد لك وفرس طوع العنان اذا كان سلسا .. ويقال تطاوع لهذا الأمر حتى تستطيعه والمطاوعة الموافقة"[٢]، وعند الكفوي تعني: " هي الموافقة لأمر أعم من العبادة لأن العبادة غلب استعمالها في تعظيم الله غاية التعظيم، والطاعة تستعمل لموافقة أمر الله وأمر غيره والعبادة تعظيم يقصد به النفع بعد الموت، والخدمة: تعظيم يقصد به النفع قبل الموت، والعبودية : إظهار التذلل والعبادة أبلغ منها لأنَّها غاية التذلل، والطاعة فعل المأمورات ولو ندبا وترك المنهيات ولو كراهة فقضاء الدين والإنفاق على الزوجة والمحارم ونحو ذلك طاعة لله وليس بعبادة، وتجوز الطاعة لغير الله في غير المعصية ولا تجوز العبادة لغير الله تعالى" [٣]، وبلا شك أنَّ هذا التصور يمثل الزاوية الثقافية والفكرية والدينية لمجمل المفهوم وانفتاحه على مساحات الاعتقاد والعادات والسلوك النفسي .

---

١ الكليني، محمد بن يعقوب. أصول الكافي، ط١ (بيروت – لبنان: دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥)، ٢٩٤/ ١.

٢ الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد .تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، ط٤ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧)، ١/ ٤٣٢.

٣ الكفوي، أبو البقاء .الكليات (بيروت – لبنان: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩)، ٥٨٣.

ولا تعدو أن تكون الطاعة شكلا فرديا أو جمعيا يتجلى من خلال الامتثال عند الفرد أو الجماعة لسلطة عليا رغبة أو خوفا، لبواعث ذاتية أو اجتماعية تحكم الأفراد والمجتمعات على السير في هذا المسلك من القبول أو الانقياد.

**المبحث الأول : الانتاج الثقافي لأنظمة قيم الطاعة**

لعلَّ فحصًا لنظام ولادة القيم في العقل العربي ينبئ بنمط من التداخل في تكوينه وتشكيله، في مساحة الامتداد التاريخي وتجليات الواقع، والطاعة واحدة من الصيرورات الثقافية التي اختلف فيها تكوينًا ما بين خارج الثقافة العربية وداخلها، والواقع أنَّ النشاط في توصيفها بأنَّها ثقافة وافدة يمثل ممارسة أيديولوجية عند بعض الدارسين للقول إنَّ نظام القيم لم يتشكل عربيا؛ بل من الموروث الآخر.

وفي الحقيقة أنَّ التصور القرآني للطاعة لاينفكُّ عن ثنائية الأمر والنهي في الخطاب، لخلق الحياة الطيبة القائمة على مرجعية في التنظيم والاتباع وبركائز دقيقة، تحدد موقع المطاع تراتبيا ابتداء من المولى سبحانه وانتهاء بأولي الأمر، يقول أحد الباحثين : " ثمة ترابط دائم لاينفك بين طاعة الله وطاعة الرسول اذ يرد الأمر بالطاعة بإحدى ثلاث صيغ لامحالة اما "اطيعوا الله والرسول" أو "اطيعوا الله واطيعوا الرسول" أو " اطيعوا الله ورسوله"* الا في مرة واحدة يستخدم تعبير أطيعوا الرسول وفي حال كانت طاعة الرسول متعلقة بالاطار الوظيفي الذي أوكل اليه، ومن الملاحظ انه عندما يتعلق الأمر بأحكام التشريع يستعمل القرآن في ما يخصُّ الرسول أطيعوا أو استجيبوا وعندما يتعلق الأمر بعموم الدعوة إلى الإيمان بما نزل على الرسول يستخدم تعبير آمنوا أو مشتقات الفعل اتبع" [٤]، وبلا شك أنَّ محددات الطاعة وتجلياتها لها دوافع دينية واجتماعية وهي بمنزلة الارشاد والتنبيه لديمومة الحياة البشرية بهذا الاطار التنظيمي، فهي علاقة تعبر عن ممارسة تعبدية بما أمر به الله سبحانه كسلطة غير قابلة للرد أو الاعتراض لأنَّها كيفية إلهيَّة ترى في هذا التشريع المنطق الحكيم لإيصال البشرية إلى

٤ الحاج، عبد الرحمن. الخطاب السياسي في القرآن السلطة والجماعة ومنظومة القيم، ط١ (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠١٢)، ٢١١.

* مواطن الآيات القرآنيَّة وسورها: ﴿وَأَطِيعُوا الله وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (آل عمران: ١٣٢)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ...﴾ سورة النساء، الآية: (٥٩)، ﴿وَأَطِيعُوا الله وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ الله مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال:٤٦).

بـر النجـاة . يقـول أحـد المفسريـن: (لإطاعـة الرسـول معنـى ولإطاعـة الله سـبحانه معنـى آخـر، وإن كان إطاعـة الرسـول إطاعـة لله بالحقيقـة لأن الله هـو المشرع لوجـوب إطاعتـه كـما قـال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فعلى النـاس أن يطيعـوا الرسـول فيـما يبينـه بالوحي، وفيما يـراه مـن الـرأي. وهـذا المعنـى (والله أعلـم) هـو الموجـب لتكـرار الأمـر بالطاعـة في قولـه:﴿أَطِيعُـوا الله وَأَطِيعُـوا الرَّسُـولَ﴾، لا مـا ذكـره المفسـرون: أن التكـرار للتأكيـد، فـإن القصـد لـو كان متعلقًـا بالتأكيـد كان تـرك التكـرار كـما لـو قيـل: وأطيعـوا الله والرسـول أدل عليـه وأقـرب منـه، فإنـه كان يفيـد أن إطاعـة الرسـول عـين إطاعـة الله سـبحانه وأن الإطاعتـين واحـدة، ومـا كل تكـرار يفيـد التأكيـد، وأمـا أولـوا الأمـر فهـم – كائنـين مـن كانـوا – لا نصيـب لهـم مـن الوحـي، وإنـما شـأنهم الـرأي الـذي يسـتصوبونه فلهـم افـتراض الطاعـة نظـير مـا للرسـول في رأيهـم وقولهـم)[٥]

ومقولـة الطاعـة في بعدهـا السـياسي بوصـف إنتاجًـا يفرضـه واقـع السـلطة يرتكـز عـلى بعـد تصـوري قوامـه القـوة لتحقيـق الامتثـال والاسـتجابة مـن الأفـراد، عـلى مسـتوى البنـى الكـبرى (الدولـة، المعرفـة، المؤسسـة، العائلـة)، بتمايـز يخلـق تفاوتـا بـين الآمـر والمتلقـي، يقـول احـد الباحثين الطاعـة : (هـي أمـر أسـاسي في بنيـة الحيـاة الاجتماعيـة فهـي في بعـض انظمـة القـوة مطلـب لـكل حيـاة جماعيـة والإنسـان لا يسـتطيع أن يعيـش في عزلـة فهـو يجـبر عـلى الاسـتجابة مـن خـلال التحـدي أو الخضـوع لأوامـر الآخريـن[٦]، فالحيـاة الفاضلـة في أرض الرافديـن كانـت هـي الحيـاة المطيعـة إذ كان الفـرد يقـف في مركـز مجموعـة مـن الدوائـر المتلاحقـة مـن السـلطة تحـد مـن حريـة عملـه ونشـاطه وكان الأمـر في المـاضي السـحيق عـلى نحـو مـا هـو عليـه في يومنـا الراهـن تبـدأ دوائـر السـلطة أو الطاعـة لا فـرق مـن دائـرة الاسرة إذ يـوصي العراقـي القديـم بهـذه العبـارة اسـمع كلمـة أُمـك كـما تسـمع كلمـة إلهـك واسـمع كلمـة أخيـك الأكـبر كـما تسـمع كلمـة أبيـك)[٧]

ولـن يبتعـد انتـاج ثقافـة الطاعـة قيمـة اساسـية في تشـكيل الحيـاة الطيبـة عـن الـوازع النفـسي، (فنحـن كبـشر نولـد بإمكانيـة الطاعـة التـي تتفاعـل بعـد ذلـك مـع تأثـير المجتمـع لإنتـاج الإنسـان

٥ الطباطبائي، محمد حسين. الميزان في تفسير القرآن (بيروت – لبنان: بمطبعة الأعلمي، ١٣٩٤)، ٥/ ٢٢.
٦ ميلغرام، ستانلي. كيف تصنع الطاعة وجهة نظر علمية عن التسلط، ط١ (لبنان: منشورات نصوص، ٢٠٢٢)، ١٩.
٧ امام، امام عبد الفتاح. الطاغية دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي (الكويت: عالم المعرفة، ١٩٩٣)، ٢٨.

المطيع)[٨]، فالمعاني الكلية التي تشكل رؤية الإنسان للعالم قائمة على القبول أو الامتثال بما فيه من مصلحة تنسجم وكرامة الإنسان، وهذا الهاجس محل إشكال في التلقي فالجهاز المفاهيمي للبنية الذهنية العربية مختلف بطبيعته ونوعه وتوصيفه اذ لايستسيغ التقبل للسلطة بوصفه معطى بشريا وحتى الأوامر الإلهية في تأسيساتها الأولى كان المنحى الرئيس هو الرفض وعدم القبول، يقول أحد الباحثين : "البدوي من اكثر الناس حبا للرئاسة والإمرة واكثرهم نفرة من الطاعة والانصياع.. أنَّ الإمرة في نظر البدوي علامة الغلبة والطاعة علامة المغلوبية"[٩]، ومن ثمَّ فان هذا المضمون هو نوع من السلوك يصدر عن الأفراد والجماعات بوعي وبصيرة لأنَّه ينزع إلى تحقيق رغبات خاصة ملبيا حاجات غريزية دفينة ومكبوتة في اعماق النفس.

والمعطى التشريعي حاضر في انتاج ثقافة الطاعة : "فعن النبيﷺ أنه قال " كل قنوت في القرآن فهو طاعة "[١٠ ١١ ١٢].غاية ما في الأمر، تارة تأتي هذه الطاعة " تكوينية " وأخرى " تشريعية"[١٣]، فبطبيعة الحال الطاعة نظم لها هيمنتها على القيم لتشييد صورة صحيحة ملائمة لعلة الخلق البشري، فمن حيث التكوين جبل الوجود على تراتبية في السلطة كأساس لمسار الثقافة الإسلاميَّة في الواقع، ولغاية تشريعية تنتقل بالجانب التهذيبي القيمي إلى مستوى من الارتقاء بالتطبع والتخلق العاليين.

ومن الآليات الثقافية المنتجة للطاعة، البنية الاجتماعية لتشكيل هوية الفرد، فالمعمار التربوي العائلي مبني على ثنائية التسلط والخضوع، حيث الالزام بوجوب الطاعة للنظام الابوي تبجيلا وترهيبا، وهي ممارسة مألوفة درج عليها المجتمع العربي لتشكل في مجملها نسيجا من الفكر القار في الذهنية العربية، يقول الدكتور علي زيعور : " إن الأب يمثل النموذج الأصلي للأبوية المستحدثة فهو أداة قمع قوته ونفوذه يقومان على العقاب، فالمهم أن يكون الولد مطيعا مؤدبا.. متفوقا على الاقران والا فنكثر من الاستهزاء بشخصيته ومقارنته

٨ ميلغرام، كيف تصنع الطاعة وجهة نظر علمية عن التسلط، ١٨٢.
٩ الوردي، علي. دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، ط١، ١٩٦٥، ٦٩.
١٠ الصنعاني، عبد الرزاق .تفسير عبد الرزاق، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.) ٣/ ٣٧.
١١ الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد. المعجم الأوسط. المحقق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد – أبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، (القاهرة: دار الحرمين، ١٩٩٥)، ٢/ ٢٢٤.
١٢ النحاس، أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل. الناسخ والمنسوخ. ٨٠.
١٣ الشيرازي، ناصر مكارم .الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ط١ (بيروت: مؤسسة البعثة للطباعة والنشر، ١٤١٣)، ٥١١/ ١٢.

مع الغير والإلحاح على فشله مما يقتل فيه الطاقات والتفتح ويدفعه إلى السلبية وسوء التقييم للذات؛ بل معاقبتها أحيانا"[١٤]

وخلاصة القول إن ثقافة الطاعة نتاج تفاعل بين التشريع الديني والبنية الاجتماعية، إذ أُريد لها أن تكون أداة تهذيب وارتقاء قيمي، لكنها في الممارسة الاجتماعية، ولا سيما ضمن النسق الأبوي، تحولت أحيانًا إلى آلية ضبط وتسلط، مما يستوجب التمييز بين الطاعة الواعية الهادفة، والطاعة القسرية التي تعيق نمو الفرد وفاعليته.

**المبحث الثاني : أنماط الطاعة وبنية العلاقات**

إنَّ استثمار مفهوم الطاعة ودلالته في منظور أهل البيت عليهم السلام يرتبط بفلسفة خاصة لها نتائجها المتداخلة بالعقيدة والفكر والسلوك، فهي مقولات لا تنحصر في مواعظ وتوجيهات فحسب؛ بل هي تأسيسات لثمرة الوجود البشري وجدوى بقائه في البسيطة، إذ ترتبط مقومات الطاعة بشكلها العمودي المتعلق بالانقياد إلى رب الارباب أولا واخيرا بصورة من التخطيط المحكم كبرنامج يرسم اثره في حياة الأفراد والمجتمعات نحو الحياة الطيبة، فعن النبي صلى الله عليه وآله أنَّه قال "أصل الدين الورع، ورأسه الطاعة"[١٥]، وبلا شك أنَّ هذا التمثيل الاستعاري بجعل الطاعة رأسا للدين هو نمط من التأكيد العقلي القائم على معطيات تنتهي بتصور الدين أنّ له أصلا ورأسا، فالتعاضد في خلق تلك البنية وجعلها بهذه الماهيَّة العميقة من الكف عن المحرمات والامتثال لقواعد الشرع والعقيدة أسِّان لسيادة الفضيلة والكمال وبثقافة تشكل حاجزا لتصدير اي نوع من انواع الدين البشري البعيد عن ديناميكية الورع والطاعة.

ولعل الركيزة الأساس في منظور أهل البيت عليهم السلام هي الاستغراق بقضية استغناء الخالق عن خلقه، تحذيرا من الوهم الذاتي والعجب بفعل العبادة عند الممارسات الطقوسية، لذلك جاء التحاشي من هذا الاقتراب لما فيه من فساد في التصور والنظر، فعن أمير المؤمنين عليه السلام : قال "لم تخلق الخلق لوحشة ولا استعملتهم لمنفعة ولا ينقص سلطانك من عصاك ولا يزيد في ملكك من أطاعك".[١٦]،فالجماعات المغلقة يحكمها رابط الكثرة لما جبلت عليه من تفكير

١٤ علي زيعور، التحليل النفسي للذات العربية أنماطها وسلوكها الاسطورية (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٧)، ٣٤.
١٥ المجلسي، محمد باقر. بحار الأنوار (طهران – إيران: المطبعة الإسلامية، ١٣٨٥)، ٧٤/ ٨٦.
١٦ أبو طالب، الإمام علي عليه السلام .نهج البلاغة، شرح :محمد عبده، ط١ (ذوي القربى، ١٤٢٧)، الخطبة ١٠٩.

حسي في رؤيتها للكون والحياة، لذلك تولد نطاق مواجهة تلك التصورات بتحول يخلق من ثقافة الطاعة انها سلوك يستحسن من الأفراد والجماعات دون أن يحمل على المن بالشعور انه عائد بالزيادة على المولى سبحانه وتعالى. ومثله قوله ﷺ ايضا: "خلق الخلق حين خلقهم غنيًا عن طاعتهم، آمنًا من معصيتهم، لأنّه لا تضرّه معصية من عصاه، ولا تنفعه طاعة من أطاعه" [١٧]، لبيان أنَّ المصلحة كلها عبر هذا السلوك هي امتياز للعباد وليس له سبحانه وتعالى.

وفي مرحلة تحول الطاعة إلى سلوك يجعل من الفرد شريحة وقوة يتشكل في ضوئها الوعي الإيماني والبصيرة النافذة أمام الجماعات الكامنة في نموذج العشيرة أو الدولة، يأتي قول الإمام الحسن بن علي ﷺ: "وإذا أردت عزًا بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فاخرج من ذلّ معصية الله إلى عِزّ طاعة الله عزّ وجلّ". [١٨]. فاللّامتكافئ بين الثنائيتين (المعصية والطاعة) يتغير حكمه في الواقع المعيش عبر فعالية الطاعة والامتثال لأوامر الله سبحانه وتعالى حيث انتاج معنى الوجود الحقيقي من خلال المعاناة بالمواجهة والصبر والقوة على كل ما يجذب الإنسان إلى دائرة معصيته كي تتحقق النتيجة المتقدمة وهي العز والهيبة.

وعن الإمام الصادق ﷺ قال: "يا جابر أيكتفي من ينتحل التشيّع أن يقول بحبنا أهل البيت ﷺ، فوالله ما شيعتنا إلّا من اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يُعرفون يا جابر إلّا بالتواضع، والتخشّع والأمانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبر بالوالدين والتعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكفّ الألسن عن الناس إلّا من خير وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء. قال جابر: فقلت: يا ابن رسول الله ما نعرف اليوم أحدًا بهذه الصفة فقال: يا جابر لا تذهبن بك المذاهب حسب الرجل أن يقول أحب عليًا وأتولّاه ثمّ لا يكون ذلك فعّالًا؟ فلو قال: إنّي أحبّ رسول الله فرسول الله ﷺ خيرٌ من علي ﷺ ثمّ لا يتبع سيرته ولا يعمل بسنّته ما نفعه حبّه إيّاه شيئًا فاتقوا الله واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحدٍ قرابة، أحبّ العباد إلى الله عز وجل (وأكرمهم عليه) أتقاهم

١٧ أبو طالب، الخطبة ١٠٩.
١٨ المجلسي، بحار الأنوار، ٤٤/ ١٩٣.

وأعملهم بطاعته، يا جابر والله ما يتقرّب إلى الله تبارك وتعالى إلّا بالطاعة وما معنا براءة من النار ولا على الله لأحدٍ من حجّة، من كان لله مطيعًا فهو لنا ولي ومن كان لله عاصيًا فهو لنا عدو، وما تنال ولايتنا إلّا بالعمل والورع"[١٩]، فاذا كان الفضاء القيمي بوصفه أطروحة لا تقع في الأيديولوجيا، فإنَّ له ضروراته الدافعة في أن يكون مائزا عن غيره لذلك فان هذا التعزيز في صناعة الخطاب التحفيزي لهوية مغايرة كبعد أساسي في التغيير الاجتماعي والثقافي والفكري، وهو لحظة تطهير تنتقل بالمخاطبين إلى بنية فوقية في وجدان الناس، ليكون التمايز هو بلورة لتحولات دافعة نحو انضاج الوعي على وفق منظور يرتبط بالذات الفاعلة عند التلبس بمساحات من القيم، كونها الواقع العيني الذي ترتبط به تلك الجماعات وتعكس الواقع الفعلي لسلوكياتها ورؤاها وأخلاقها فتكون فاعلة في حقيقتها أو واهية في وظيفتها عند ممارسة تأثيرها في المجتمع، وأولها "ما شيعتنا إلّا من اتقى الله وأطاعه".

وبالانتقال إلى صناعة وعي آخر يمكن أن يكون نموذجا اجتماعيا مثاليا، عبر مركزية الطاعة، يؤسس الإمام الهادي عليه السلام إلى هذا النموذج بمجال مغاير لتأثيرات الواقع وملابساته، يقول عليه السلام "من أطاع الخالق لم يبال بسخط المخلوق "[٢٠]، كون هذا النسق هو الحقيقة للحياة الطيبة دون مساءلة تعيق الإنسان وتجعل منه فكرة متحركة تحكمها ثقافة ارضية وبصور بشرية تختلف فيها الحقائق وتتصارع فيها المصالح.

أمَّا طاعة الحاكم فهي من اهم الاشكاليات الجدلية في الفكر الإسلامي، حيث تسود ثقافة يتخللها نسق من الأحكام الاجتهادية ترى وجوب الطاعة أحيانا وأخرى لا ترى ذلك، فضلا عن الامتياح لتسويق هذه النظرية تكوينا وانتاجا من أطر مبدأ العمل الصالح أو المروءة، فالنظام الأخلاقي للعرب في الجاهلية يستند إلى مبدأ المروءة في حين أنه يستند في الإسلام إلى مبدأ العمل الصالح [٢١]، وتتزايد تلك الاشكالية نظرًا إلى ما يطرحه هذا المفهوم من قضايا هي جوهر السؤال السياسي في الاسلام ومن ذلك جدل الديني والسياسي نظرا

١٩ الكليني، أصول الكافي، ٢/ ٧٥.
٢٠ المجلسي، بحار الأنوار، ٩٤/ ١٢٨.
٢١ الجابري، محمد عابد. العقل الأخلاقي العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية، ط١ (بيروت: مركز دراسات الوحد العربية، ٢٠٠١)، ٥٣١.

إلى تقاطع الأمر التعبدي بالطاعة مع الجانب السياسي فيها[٢٢]، ولعل الكشف عن معاينة خطاب الطاعة للسلطة في منظور مرويات أهل البيت ﷺ يبرز سياق الموافقة في اختيار السلطة لمقتضيات سوسولوجية تقوم عليها المجتمعات تتيح وصفا من الاستقرار كحاجة ماسة لديمومة العمران البشري، قال أمير المؤمنين علي ﷺ : "لاَبُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِير بَرّ أَوْ فَاجِر، يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ، وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ، وَيُبَلِّغُ اللهُ فِيهَا الاْجَلَ، وَيُجْمَعُ بِهِ الْفَيءُ، وَيُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ، وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ، وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ، حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ، وَيُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِر"[٢٣]، فهذا التصنيف يستدعي ضرورة وجود الحاكم سواء أكان صالحا أم ظالما من زاوية تفرض الامتثال لوجوده مادام الجمهور يعيش في عبودية ارادية تقتضيها المصلحة احيانا دون تجاوز الوظيفة المنوطة بالمجتمع في قول الحق أو السكوت عن القهر الاجتماعي وانعدام العدالة الاجتماعية.

وعن ابي عبدالله ﷺ قال أيّها الناس إنّ رسول الله ﷺ قال: "من رأى سلطانًا جائرًا مستحّلًا لحرم الله، ناكثًا لعهد الله، مخالفًا لسنّة رسول الله ﷺ يعمل في عباد الله بالإثم و العدوان، فلم يُغَيِّر عليه بفعل ولا قول كان حقًّا على الله أن يدخله مدخله. ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان و تركوا طاعة الرحمن، و أظهروا الفساد و عطّلوا الحدود، و استأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله وحرّموا حلاله، وأنا أحقّ من غيّر"[٢٤]، إذ يخلق الإمام ﷺ مناعة ذات مستوى من الإرادة لها القدرة على المواجهة وصناعة نمط من الديناميكية العالية مقابل السكوت والخنوع، وبهذا المسلك من السعي تتشكل ثنائيات اجتماعية سياسية تتنازع فيه الإرادات لبلورة هوية جماعات مختلفة تمثل نواة تأسيسية للفئة المناوئة والناصرة لمبادئ الحقيقة.

ويدور المفهوم نفسه لتكوين رؤية الطاعة عند الجماعة الموصوفة بالشيعة وهم اتباع أهل البيت ﷺ على لسان الإمام موسى بن جعفر ﷺ يقول : "يا معشر الشيعة لا تذلوا رقابكم بترك طاعة سلطانكم، فإن كان عادلًا فاسألوا الله إبقاءه، وإن كان جائرًا فاسألوا الله إصلاحه، فإن صلاحكم في صلاح سلطانكم، وإن السلطان العادل بمنزلة الوالد الرحيم، فأحبوا له

٢٢ ساسي، سمير. مشروعية السلطة في الفكر السياسي الإسلامي، ط١ (المركز العربي للأبحاث والدراسات، ٢٠٢١)، ٨٧.
٢٣ ابي طالب، نهج البلاغة، ٨٨.
٢٤ المجلسي، بحار الأنوار، ٤٤/ ٣٨٢.

ما تحبون لأنفسكم، واكرهوا له ما تكرهون لأنفسكم" [٢٥] إلى حد يخطُّ فيه الإمام تفصيلات دقيقة تشي بتحديد العلاقة وتقسم فضاء التواصل بين المملوك والحاكم بضبط واضح يقوم على تجنب ترك طاعة السلطان إن كان عادلا وبالصلاح والهداية إن كان جائرا ببنية ثنائية تقود إلى تقريب بين الطرفين في مسار التواصل. ويبقى المجال قائما في ثنائية الشرعية والمشروعية والعلاقة بين السلطة والأفراد لإبراز معالم السلطة الحقيقية ومالها وماعليها بحركة تعيد انتاج الشكل الحقيقي للسلطة ومتى تطاع؟ فعن الصادق عن آبائهعليهم السلام عن النبيصلى الله عليه وآله قال: "السلطان ظل الله في الأرض، يأوي إليه كل مظلوم، فمن عدل كان له الأجر، وعلى الرعية الشكر، ومن جار كان عليه الوزر وعلى الرعية الصبر حتى يأتيهم الأمر " [٢٦] . فالقيمة الثابتة لمفهوم طاعة الحاكم واجبة لأنَّه سلطان الله في الارض وما يقتضي هذا السياق من العدل والانصاف والرحمة وما يستتبعه من لزوم دخول الامة في بيعته والانقياد لطاعته.

وروى الإمام الرضاعليه السلام عن آبائه قال: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله : "من أرضى سلطانًا بما أسخط الله خرج عن دين الله"[٢٧] وهي مقولة تستبطن سياسة التعاطي مع الحاكم اذا كان ظالما على وفق المرجعية النبوية الممتدة إلى السماء والقاضية بأن هذا الفعل هو خروج عن دين الله .

٢٥ المجلسي، ٢١٨.
٢٦ المجلسي، ٢١٤.
٢٧ أبو طالب، نهج البلاغة، ١٦٥.

**المبحث الثالث : البنى الكامنة في الطاعة وتمثلاتها**

ما يلمح في مساءلة تلك التمثلات هو ما تنتجه من صور للحياة الطيبة التي لا يختلف عليها اثنان بانها لحظة التمازج بين عالمي الحياة الدنيا والآخرة، فالإنسان لا يمكن أن يكون مرهونا لعالم المادة فحسب؛ بل هو في نزوع دائم إلى عالم غيبي يرسم فيه آماله التي لم تتحقق.

والمصدر الأساس لبوصلة الطاعة هو الله سبحانه وتعالى باعتباره القطب الذي تطوف كل البشرية في رحابه وتسعى إلى القرب منه ليتشكل معنى الحياة بسلاسل مترابطة من الوصال وأنَّ تنوع الهدف في الطرق السالكة فان التصورات والأحكام غايتها فهم النظام الكوني الذي تشكل عليه الخلق وبرز إلى الظهور فالمولى سبحانه هو المصوّر الخالق الذي أبدع هذا الكون بعوالمه المتعددة وخلق الإنسان من العدم إلى حيّز الوجود، لغاية سامية تكمن في العبادة القائمة على المعرفة الحقيقية، (فطاعته تعالى فيما شرع لعباده وما يتعلق بها نوع تعلق من التوكل عليه، وطاعته واجبة لمن عرفه وآمن به)[٢٨].

ولعل أولى التمثلات لإنتاج معنى الحياة هو الحضور والاسترسال المكثف لتعبيرية الطاعة المقترنة بالله عز وجل، فالمقاربة في منظور أهل البيت ﷺ لهذا المحور تكاد تكون هي الاكثر بروزا في الشرح والانفتاح والاستدلال، فعن النبي ﷺ : قال (وطاعتنا طاعة الله ومعصيتنا معصية الله عز وجل)[٢٩]، ليتشكل من خلال هذا المنظار المشترك التفاعلي في عملية الطاعة الممثل للبنى الحقيقية التي تعبر عن انتماءات المسلم في عقيدته ووجوده. يقول ابن عاشور : (فإنّ الله هو منزّل الشريعة ورسوله مبلّغها والحاكم بها في حضرته. وإنّما أعيد فعل ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ مع أنّ حرف العطف يغني عن إعادته إظهارًا للاهتمام بتحصيل طاعة الرسول لتكون أعلى مرتبة من طاعة أولي الأمر، ولينبّه على وجوب طاعته فيما يأمر به، ولو كان أمره غير مقترن بقرائن تبليغ الوحي لئلاّ يتوهّم السامع أنّ طاعة الرسول المأمور بها ترجع إلى طاعة الله فيما يبلّغه عن الله دون ما يأمر به في غير التشريع)[٣٠].

---

٢٨ الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١٩/ ٣٠٦.
٢٩ المجلسي، بحار الأنوار، ٨٢/ ١٦.
٣٠ ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير (تونس: : الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤)، ٥/ ١١٦.

ويتخذ الإمام علي﵇ من السنن الصالحة خاصية دائمة لمحتوى الطاعة لأنَّها انعكاس لبنى قيمية مشتركة تنصهر فيها الاطر الفطرية الكادحة إلى الله سبحانه وتعالى، يقول﵇: (وأكثِر مُدارَسَةَ العُلَماءِ، ومُثافَنَةَ الحُكَماءِ، في تَثبيتِ ما صَلَحَ عَلَيهِ أهل بِلادِكَ، وإقامَةِ مَا استَقامَ بِهِ النّاسُ مِن قَبلِكَ ؛ فَإِنَّ ذلِكَ يَحِقُّ الحَقَّ، ويَدفَعُ الباطِلَ، ويُكتَفى بِهِ دَليلًا ومِثالًا لِأَنَّ السُّنَنَ الصّالِحَةَ هِيَ السَّبيلُ إلى طاعَةِ الله)[٣١]، وهي بنى عميقة لنظام يرتكز على فعل الخير بما فيه من صلاح يجمع المبادئ المشتركة باعتبارها قواعد متفقا عليها تشي بالطاعة الحقيقية.

وتتدرج السيدة الزهراء عليها السلام في تأكيد أسس التوحيد الخالص لخلق امكانية ثقافية في وعي السامع غايتها فهم نظام الارتباط بالله وبقدرته وسلطته العليا المانحة لوجود البشر في تصور محكم قادر، قالت﵇: (وَأَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، كَلِمَةٌ جَعَلَ الإْخْلاصَ تَأْويلَها، وَضَمَّنَ الْقُلُوبَ مَوْصُولَها، وَأَنارَ في الْفِكَرِ مَعْقُولَها. الْمُمْتَنِعُ مِنَ الإْبْصارِ رُؤْيَتُهُ، وَمِنَ الأَلْسُنِ صِفَتُهُ، وَمِنَ الأَوْهامِ كَيْفِيَّتُهُ. اِبْتَدَعَ الأَشْياءَ لا مِنْ شَيْءٍ كانَ قَبْلَها، وَأَنْشَأَها بِلا احْتِذاءِ أَمْثِلَةٍ امْتَثَلَها، كَوَّنَها بِقُدْرَتِهِ، وَذَرَأَها بِمَشِيَّتِهِ، مِنْ غَيْرِ حاجَةٍ مِنْهُ إلى تَكْوينِها، وَلا فائِدَةٍ لَهُ في تَصْويرِها إلاّ تَثْبيتًا لِحِكْمَتِهِ، وَتَنْبيهًا عَلى طاعَتِهِ، وَإِظْهارًا لِقُدْرَتِهِ، وَتَعَبُّدًا لِبَرِيَّتِهِ، وإعزازًا لِدَعْوَتِهِ)[٣٢]، اذ تميط اللثام عليها السلام عن العلة في هدف ابتداع الموجودات بعد توحيده والثناء عليه لخلق سياق الامتنان والشكر المنشودين من خلال فعل الطاعة والعبودية الحقة.

وعن الإمام الكاظم﵇ : قال (يا هشام نصب الخلق لطاعة الله ولا نجاة إلا بالطاعة والطاعة بالعلم والعلم بالتعلم والتعلم بالعقل)[٣٣]. وهنا تهيمن بنية التفكير العقلي لتكون طريقا إلى الطاعة، لأنَّها الأساس في تنامي الوعي العقدي إن كانت مبنية على أسس فكرية صحيحة فالطاعة والانقياد بالعقل، بعيدا عن الشكل التقليدي القائم على غياب التفكير والتدبر في افعال السلوك المرتبطة بحدود العلاقة بالله سبحانه .فأن أدنى أنماط الطاعة ما كان بعيدا عن روابط العلم والتعلم في الممارسة .

٣١ الحراني، ابن شعبة. تحف العقول عن آل الرسول (النجف: المطبعة الحيدرية، ١٩٦٣)، ١٣١.
٣٢ المجلسي، بحار الأنوار، ٢٩/ ٢٢٠.
٣٣ المجلسي، ج ١ / ١٣٨.

وفي تنوع آخر يبرز السعي في تحديد بوصلة الطاعة اتجاه أولي الأمر شكلا من أشكال التعبد، (فمفهوم أولي الأمر من أكثر المفاهيم التصاقا بمفهوم الطاعة السياسية وهو في حقيقة الأمر يشكل أحد لوازمه)[٣٤]، فما ورد في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ (النساء : ٥٩)، وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء : ٨٣)، يفصح عن حقيقة تشريعية ملزمة بالامتثال وتصبح : (الطاعة وسيلة لتحقيق فاعلية الشريعة في المجتمع تخضع لتوجيهاتها وتمارس وفق مقاصدها)[٣٥]، يقول الإمام علي ﷺ : (طاعتنا فريضة وحبنا إيمان وبغضنا كفر)[٣٦]، متوخيا فرضية ومضمونا تثبت للقارئ بان الطاعة فريضة لاتقبل الشك أو التردد في التسليم بها قولا وفعلا، وبالنمط الذي تشكل فيه تلك الطاعة لأهل البيت ﷺ إطارا ومنزلة عليا لبنية آمنة من الإيمان والطمأنينة والاعتقاد.

وعن السيدة الزهراء ﷺ قالت : (فَجَعَلَ اللهُ الإيمانَ تَطْهيرًا لَكُمْ مِنَ الشِّرْكِ، وَالصَّلاةَ تَنْزِيهًا لَكُمْ عَنِ الكِبْرِ، والزَّكاةَ تَزْكِيَةً لِلنَّفْسِ وَنَماءً في الرِّزْق، والصِّيامَ تَثْبيتًا للإِخْلاصِ، والحَجَّ تَشْييدًا لِلدّينِ، وَالعَدْلَ تَنْسيقًا لِلْقُلوبِ، وَطاعَتَنا نِظامًا لِلْمِلَّةِ، وَإمامَتَنا أمانًا مِنَ الْفُرْقَةِ، وَالْجِهادَ عِزًا لِلإِسْلامِ،)[٣٧]، فالواقع الحقيقي وليس المفترض أنَّ طاعة أهل البيت ﷺ سبب لنظم الدين، فهم المظهر الحقيقي للإرادة الإلهية والامتداد الطبيعي لشريعة النبي ﷺ في السلطة والممارسة والتوجيه بكشف تتجلى فيه تعاليم السماء وتتمكن البشرية من معرفة وإدراك أمور حياتها ومسؤولياتها على أسس إلهيَّة قوامها الاستجابة والاصطفاء .

ويجسد هذه الفكرة الإمام زين العابدين ﷺ بقوله : (وطاعة ولاة العدل تمام العزّة)[٣٨]، وهدف الطاعة هنا لايميل إلى خلق حالة من التأهيل لمن ولي السلطة، بقدر ما هو منظار

٣٤ المغلس، هاني عبادي محمد. الطاعة السياسية في الفكر الإسلامي النص والاجتهاد والممارسة (الولايات المتحدة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠١٤)، ٨٩.
٣٥ المغلس، ٨٢.
٣٦ المجلسي، بحار الأنوار، ٢٦/ ٢٥٢.
٣٧ المجلسي، ٢٩/ ٢٢٣.
٣٨ الحراني، تحف العقول عن آل الرسول، ٢٨٣.

يقوم على أساس إدراك المفارقة فيمن كان واليا عادلا أو ظالما، فاحتواء السلطة على أنواع العدل والانصاف يخلق حالة تبادلية من الأفراد تقوم على الطاعة وهنا تتحقق العزة والكرامة والرفعة للناس، وعندما : (تتحول إلى نوع من القهر المادي إنَّما تكشف عن انحراف مرضي ولاتنبيء عن الوضع الطبيعي)[٣٩].

ويمتاز موقع آخر لتمثلات الطاعة بوضع علائقي مختلف يمثل بنية قرابية تمتد إلى مرتبة الطاعة الإلهية، وهو موقع طاعة الوالدين، يقول الإمام زين العابدين ﷺ - في دعائه لأبويه-: اللهم اجعلني أهابهما هيبة السلطان العسوف، وأبرهما بر الام الرؤوف، واجعل طاعتي لوالدي وبري بهما أقر لعيني من رقدة الوسنان، وأثلج لصدري من شربة الظمآن، حتى أوثر على هواي هواهما[٤٠] ، فالتماثل في تحديد ماهية الطاعة بتلك الصورة هو طور ارتقائي يتجلى فيها المقام السامق للوالدين وبحقيقة لا تنطوي على مصالح أو ميول خفية؛ بل تعبير تحفزه الرغبة المثلى في الانقياد والطواعية لهما. وبلا شك أنَّ هذا التبلور وانعكاساته لا يقف عند حدود الفئة الأسرية؛ بل هو إنزياح لانعكاسات اجتماعية غايتها اعتماد ترابط ملموس في طاعة الوالدين .

ولإيضاح نتاج هذا السلوك الجمعي الذي يمكن تسميته بالفئة أو الطبقة يعمد الإمام الباقر ﷺ إلى توسيعه، ليكون نواة فاحصة لميول المرء وأحاسيسه، يقول ﷺ إذا أردت أن تعلم أن فيك خيرا، فانظر إلى قلبك، فان كان يحب أهل طاعة الله عز وجل ويبغض أهل معصيته ففيك خير، والله يحبك. وإن كان يبغض أهل طاعة الله، ويحب أهل معصيته فليس فيك خير، والله يبغضك، والمرء مع من أحب"[٤١]، فالتمييز وتبديد الخلجات القلبية بالنظر إلى تلك الفئات الممدوحة أو المذمومة ميزان لحركة تنقل الفرد ارتفاعا وانحدارا في اعتقاداته ويقينياته على ضفاف الإيمان أو الضلال.

وفي هذا السياق تتوزع الطاعة إلى حقل الزوجية لتكون اتجاها تشريعيا لا يصادر قيمة المرأة ومكانتها؛ بل لإنبات التأسيس الصحيح في دائرة العلاقات الزوجية يقول الإمام الباقر ﷺ:

٣٩ إمام، الطاغية دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي، ١٨ .
٤٠ الشيرازي، محمد الحسيني. الصحيفة السجادية. ٢٤.
٤١ المجلسي، بحار الأنوار، ٦٦/ ٢٤٧.

جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ماحق الزوج على المرأة ؟ فقال لها: "أن تطيعه ولا تعصيه، ولا تصدّق من بيتها شيئًا إلاّ بإذنه، ولا تصوم تطوعًا إلاّ بإذنه، ولا تمنعه نفسها، وإن كانت على ظهر قتب، ولا تخرج من بيتها إلاّ بإذنه...") [٤٢]، فعلى هذا الأساس تكون العلاقة وتتم الطاعة ذات التاثير الواضح في الترابط الاسري والاجتماعي رغم وجود الاختلافات الفكرية والبايلوجية والعاطفية بينهما، فبهذا التحديد تكون الوظيفة ويخلق المجال في الفروقات الوظيفية ذات الأنماط السلوكية لكل من الرجل والمرأة.

٤٢ الكليني، أصول الكافي، ج٥/ ٥٠٧.

**خاتمة البحث**

- الطاعة فضاء متعدد يمثل مسارا من الوعي وأداة للتواصل مع السلطة الإلهية المطلقة فعلا وسلوكا، وللفاعلين في الحياة إذا كانت سلطة عادلة لها فاعليتها في حكم البشرية على وفق منطق سماوي راجح.
- يسير مفهوم الطاعة في إجراء قيمي له آفاقه في ارتياد اخلاقية أرضية تؤسس لسعادة دائمة في مساحات الحياة.
- اشتمال السياق الفعلي للطاعة في خطابات أهل البيت ﷺ على حقول مكتنزة بالتوجيه والتربية، إطارها العام هو تعاليم الخطاب القرآني المعلن لتأسيس المجتمعات الإنسانية الفاعلة.
- كشف البحث عن فحص ولادة انتاج خطاب الطاعة الثقافي في أدبيات الثقافة الإسلاميَّة، وأحرز تجلي المرجعيات الدافعة لإنشائه كالدافع السياسي والنفسي والاجتماعي والتشريعي.
- حضور الاهتمام البارز بمجالات الطاعة في أحاديث أهل البيت ﷺ بنقد وتوجيه وتضمين وبحركة تمثل رأس القمة في أولويات خطابهم ﷺ.
- تأسيس فهم يتجاوز الاقرار بفعل الطاعة للسلطة إن كانت جائرة بتكرار النهي والاجتناب عن السعي في هذا المنوال أو احتذائه، أو الوقوع في زيفه واغراءاته.
- توافر اللغة الحجاجية المؤثرة في مناخ خطاب الطاعة عند أهل البيت ﷺ بتأسيس وممارسة فاعلين لها القدرة بإحراز الاثر وجدانيا وعقليا.
- الحيلولة دون نشأة الفجوات الفاصلة عن طاعة الله سبحانه وتعالى، والربط المستمر الموحي بقداسة العلاقة الصادقة مع رب الأرباب بافتراضات تحقق ثمار ذلك التعالق الإلهي.

**المصادر**

**القرآن الكريم**

ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤.

أبو طالب، الإمام علي ﷺ . نهج البلاغة. شرح :محمد عبده. ط١. ذوي القربى، ١٤٢٧.

الجابري، محمد عابد. العقل الأخلاقي العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية. ط١. بيروت: مركز دراسات الوحد العربية، ٢٠٠١.

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد. تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان. ط٤. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧.

الحاج، عبد الرحمن. الخطاب السياسي في القرآن السلطة والجماعة ومنظومة القيم. ط١. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠١٢.

الحراني، ابن شعبة. تحف العقول عن آل الرسول. النجف: المطبعة الحيدرية، ١٩٦٣.

الشيرازي، محمد الحسيني. الصحيفة السجادية، د.ت.

الشيرازي، ناصر مكارم. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل. ط١. بيروت: مؤسسة البعثة للطباعة والنشر، ١٤١٣.

الصنعاني، عبد الرزاق. تفسير عبد الرزاق. دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده. بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

الطباطبائي، محمد حسين. الميزان في تفسير القرآن. بيروت – لبنان: بمطبعة الأعلمي، ١٣٩٤.

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد. المعجم الأوسط. المحقق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد – أبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، القاهرة: دار الحرمين، ١٩٩٥.

الكفوي، أبو البقاء. الكليات. بيروت – لبنان: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩.

الكليني، محمد بن يعقوب. أصول الكافي. ط١. بيروت – لبنان: دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥.

المجلسي، محمد باقر. بحار الأنوار. طهران – إيران: المطبعة الإسلامية، ١٣٨٥.

المغلس، هاني عبادي محمد. الطاعة السياسية في الفكر الإسلامي النص والاجتهاد والممارسة. الولايات المتحدة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠١٤.

النحاس، أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل. الناسخ والمنسوخ، د.ت.

الوردي، علي. دراسة في طبيعة المجتمع العراقي. ط١.، ١٩٦٥.

امام، امام عبد الفتاح. الطاغية دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي. الكويت: عالم المعرفة، ١٩٩٣.

زيعور، علي. التحليل النفسي للذات العربية أنماطها وسلوكها الاسطورية. بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٧.

ساسي، سمير. مشروعية السلطة في الفكر السياسي الإسلامي. ط١. المركز العربي للأبحاث والدراسات، ٢٠٢١.

ميلغرام، ستانلي. كيف تصنع الطاعة وجهة نظر علمية عن التسلط. ط١. لبنان: منشورات نصوص، ٢٠٢٢.

**References**

Holy Quran

Abn Eashur, Muhamad Altaahiri. Altahrir Waltanwir. Tunus: : Aldaar Altuwnusiat Lilnashri, 1984.

Abi Talb, Al'iimam Eali (Ealayh Alsalamu). Nahj Albalaghati. Sharha :Muhamad Eabduhu. Ta1. Dhawi Alqurbaa, 1427.

Aljabri, Muhamad Eabidi. Aleaql Aliakhlaqiu Alearabiu Dirasat Tahliliat Naqdiat Linuzum Alqiam Fi Althaqafat Alearabiati. Ta1. Bayrut: Markaz Dirasat Alwahd Alearabiati, 2001.

Aljawhari, 'Abu Nasr 'Iismaeil Bin Hamadi. Taj Allughat Wasihah Alearabiati. Tahqiqu: 'Ahmad Eabd Allah Alqurashiu Raslan. Ta4. Bayrut: Dar Aleilm Lilmalayini, 1987.

Alhaji, Eabd Alrahman. Alkhitab Alsiyasiu Fi Alquran Alsultat Waljamaeat Wamanzumat Alqiami. Ta1. Bayrut: Alshabakat Alearabiat Lilabhath Walnashri, 2012.

Alharaani, Abn Shuebata. Tahafu Aleuqul Ean Al Alrasulu. Alnajafa: Almatbaeat Alhaydariati, 1963.

Alshiyrazi, Muhamad Alhusayni. Alsahifat Alsijadiatu, Da.T. Alshiyrazi, Nasir Makarmi. Al'amthal Fi Tafsir Kitab Allah Almunzili. Ta1. Bayrut: Muasasat Albiethat Liltibaeat Walnashri, 1413.

Alsaneani, Eabd Alrazaaqi. Tafsir Eabd Alrazaaqi. Dirasat Watahqiqu: Du. Mahmud Muhamad Eabduhu. Bayrut: Dar Alkutub Aleilmiati, Da.T.

Altabatibayiy, Muhamad Husayn. Almizan Fi Tafsir Alqurani. Bayrut - Lubnan: Bimatbaeat Al'aelami, 1394.

Altabarani, 'Abu Alqasim Sulayman Bin 'Ahmadu. Almuejam Al'awsata. Almuhaqaqi: 'Abu Mueadh Tariq Bin Eawad Allh Bin Muhamad - 'Abu Alfadl Eabd Almuhsin Bin 'Iibrahim Alhusaynii,. Alqahirata: Dar Alharmayni, 1995.

Alkufawi, 'Abu Albaqa'i. Alkiliati. Bayrut - Lubnan: Muasasat Alrisalati, 1419.

Alkilini, Muhamad Bin Yaequba. 'Usul Alkafi. Ta1. Bayrut - Lubnanu: Dar Almurtadaa Liltibaeat Walnashr Waltawziei, 2005.

Almajlisay, Muhamad Baqar. Bahaar Alanwar. Tahran - 'Iiran: Almatbaeat Al'iislamiati, 1385.

Almaghlasu, Hani Eabaadi Muhamad. Altaaeat Alsiyasiat Fi Alfikr Alaslamii Alnasu Waliajtihad Walmumarasatu. Alwilayat Almutahidatu: Almaehad Alealamii Lilfikr Alaslamii, 2014.

Alnuhasi, 'Abi Jaefar 'Ahmad Bin Muhamad Bin 'Iismaeil. Alnaasikh Walmansukhi, Di.T.

Alwardi, Ealay. Dirasat Fi Tabieat Almujtamae Aleiraqii. Ta1., 1965.

Amam, Amam Eabd Alfataahi. Altaaghiat Dirasat Falsafiat Lisuar Min Aliastibdad Alsiyasi. Alkuayti: Ealam Almaerifati, 1993.

Zayeur, Ealay. Altahlil Alnafsiu Lildhaat Alearabiat Anmatuha Wasulukaha Aliasturiata. Bayrut: Dar Altalieati, 1977.

Sasi, Smir. Mashrueiat Alsultat Fi Alfikr Alsiyasii Alaslami. Ta1. Almarkaz Alearabiu Lilabhath Waldirasati, 2021.

Milghram, Stanli. Kayf Tasnae Altaaeat Wijhat Nazar Eilmiat Ean Altasaltu. Ta1. Lubnan: Manshurat Nususi, 2022.